محمد عطية الإبراشي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو بَكْرٍ يُهاجِرُ مَعَ الرَّسُولِ

هِجْرَتُهُ مَعَ الرَّسولِ إِلَى المَدِينَةِ :

تآمَرَ الكُفَّارُ على قَتْلِ الرَّسولِ ، وَاجْتَمَعَ على بابِ دارِهِ أَرْبَعُونَ شابًّا ، كُلُّ شابٍّ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنْ قَبائِلِ مَكَّةَ . فَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِالهِجْرَةِ ، فَذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ سِرًّا ، وَاتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى الاسْتِعْدادِ لِلْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ . فَجَهَّزَ أَبو بَكْرٍ ناقَتَيْنِ ، وَاسْتَأْجَرا دَلِيلًا يَدُلُّهُما على الطَّرِيقِ ، وَحَدَّدا لَهُ وَقْتًا مُعَيَّنًا لِيُقابِلَهُما فِيهِ بِغارِ حِراءٍ[1] بَعْدَ ثَلاثِ لَيالٍ

(1) هُوَ غارُ ثَوْرٍ فِي جَبَلٍ يَبْعُدُ مِيلَيْنِ عَنْ مَكَّةَ ، وَهُوَ عَلَى مَسِيرِ ساعَةٍ مِنْها .

مِنْ ذَهابِهِما إِلَى الغارِ .

وَأَمَرَ أَبو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَعْرِفَ مايَقُولُهُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهارًا ، ثُمَّ يَأْتِيَهُما فى المَساءِ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الأَخْبارِ . وَأَمَرَ راعِىَ غَنَمِهِ أَنْ يُرِيحَها فى الْغارِ لَيْلًا لِيأْخُذا حاجَتَهُما مِنْ لَبَنِها .

وَكانَتْ أَسْماءُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ تُحْضِرُ لَهُما الطَّعامَ مَساءً بِحَيْثُ لايَراها أَحَدٌ .

وَحَمَلَ أَبو بَكْرٍ مالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ . وَخَرَجَ مَعَ الرَّسُولِ لَيْلًا مِنْ بابٍ خَلْفِىٍّ فى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ . وَقَدْ وَصَلا إِلَى الغارِ ، فَدَخَلَهُ أَبو بَكْرٍ قَبْلَ الرَّسولِ ؛ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ سَبُعٌ مُفْتَرِسٌ أَوْحَيَّةٌ مُؤْذِيَةٌ، لِكَىْ يُحافِظَ عَلَى الرَّسولِ بِنَفْسِهِ .

وَفى الصَّباحِ وَجَدَ الكُفَّارُ عَلِىَّ بْنَ أَبِى طالِبٍ فى سَرِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَجِدُوا الرَّسولَ ،

فَقالوا لَهُ : أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ ؟ فَقالَ لَهُمْ : قُلْتُمْ لَهُ : اُخْرُجْ عَنَّا ، فَخَرَجَ عَنْكُمْ .

فَاغْتاظُوا كُلَّ الغَيْظِ ، وَأَخَذوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ في كُلِّ جِهَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ أَثَرًا . فَتَأَلَّموا أَلَمًا شَدِيدًا ، وَذَهَبوا إِلَى دارِ أَبي بَكْرٍ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِم ابْنَتُهُ أَسْماءُ ، فَسَأَلوها : أَيْنَ أَبوكِ ؟ فَأَجابَتْ : لا أَعْرِفُ . فَضَرَبَها أَبو جَهْلٍ بِيَدِهِ عَلَى خَدِّها ، فَسَقَطَ قُرْطُها[1] .

الرَّسولُ وَأَبو بَكْرٍ بِالْغارِ :

اِسْتَمَرَّ رَسولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصاحِبُهُ أَبو بَكْرٍ ثَلاثَ لَيالٍ بِالغارِ . وَقَدْ أَلْهَمَ اللّهُ حَمامَتَيْنِ فَوَقَفَتا عَلَى وَجْهِ الغارِ ، وَأَلْهَمَ

(١) القُرْطُ : الَّذِى يُعَلَّقُ فى شَحْمَةِ الأُذُنِ .

الْعَنْكَبُوتَ فَنَسَجَتْ نَسِيجَها عَلى بابِهِ . فَكانَ ذٰلِكَ سَبَبًا فى مَنْعِ الكُفَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ دُخولِ الغارِ ، حِينَما ذَهَبُوا يَبْحَثونَ عَنِ الرَّسولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ .

وَقالَ واحِدٌ مِنْهُمْ : اُدْخُلُوا الْغارَ ، وَابْحَثوا عَنْهُ . فَقالوا لَهُ : وَما الفائِدَةُ مِنْ دُخولِ الغارِ ؟ إِنَّ فِيهِ عَنكَبُوتًا أَقْدَمَ مِنْ مِيلادِ مُحَمَّدٍ . وَلَوْ دَخَلَ مُحَمَّدٌ الغارَ لَكُسِرَ بَيْضُ الْحَمامَةِ ، وَلَتَفَسَّخَ العَنكَبُوتُ .

وَقَدْ رَأَى الرَّسولُ وَأَبو بَكْرٍ الكُفَّارَ مِنْ داخِلِ الغارِ ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ : لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَآنا .

فَقالَ الرَّسولُ : يا أَبا بَكْرٍ : ما ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ

---

(١) ما رَأْيُكَ ؟

اللهُ ثالِثُهُما ؟ فَاشْتَدَّ حُزْنُ أَبى بَكْرٍ عَلى الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقالَ لَهُ : إِنْ قُتِلْتُ أَنا فَإِنَّما أَنا رَجُلٌ واحِدٌ ، وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتَ هَلَكَتِ الأُمَّةُ[1] .

فَقالَ لَهُ الرَّسولُ : "لاتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا" .

فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ عَلى أَبى بَكْرٍ ، وَنَصَرَ رَسولَهُ بِجُنُودِهِ مِنَ المَلائِكَةِ لِيَحْرُسُوهُ ، وَيَصْرِفُوا وُجُوهَ الكُفَّارِ[2] وَأَبْصارَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ .

ثُمَّ جاءَ الدَّليلُ ـ وَهُوَ المُرْشِدُ ـ الَّذِى اسْتَأْجَرَهُ الرَّسولُ وَأَبو بَكْرٍ بِالنَّاقَتَيْنِ ، فَقَدَّمَ أَبو بَكْرٍ أَحْسَنَهُما لِرَسولِ اللهِ ، فَسَأَلَهُ الرَّسولُ عَنْ ثَمَنِها ، ثُمَّ أَخَذَها. فَرَكِبا ، وَسافَرا ، وَمَعَهُما الدَّليلُ .

---

(١) انتَهَت الأُمَّةُ وقُضِيَ عَلَيها .

(٢) جَمعُ كافِر وهُوَ الَّذى لايُؤمِنُ بِاللهِ وَرَسولِهِ .

وَمَكَثَتْ أُسْرَةُ (عائلة) أَبِى بَكْرٍ ثلاثَ لَيالٍ وَهِىَ لاتَعْلَمُ أَيْنَ ذَهَبَ الأَبُ .

وَفِى النِّهايَةِ عَلِمَ أَهْلُهُ أَنَّهُ هاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ مَعَ الرَّسولِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ماذا حَدَثَ لِأَبِى بَكْرٍ فِى الْغارِ ؟

حَمَلَ أَبو بَكْرٍ رَسولَ اللّهِ عَلَى كَتِفِهِ لِيُرِيحَهُ مِنْ أَلَمِ المَشْيِ حَتَّى وَصَلَ بِالرَّسولِ إِلَى بابِ الْغارِ . فَأَنْزَلَهُ بِرِفْقٍ . ثُمَّ دَخَلَ الغارَ قَبْلَ الرَّسولِ . وَكانَ فِى بَعْضِ جَوانِبِ الغارِ جُحْرٌ فِيهِ حَيَّاتٌ[1] ، فَوَضَعَ أَبو بَكْرٍ قَدَمَهُ عَلَى بابِ الجُحْرِ لِيَسُدَّهُ بِهِ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الجُحْرِ شَيْءٌ إِلَى النَّبِيِّ فَيُؤْذِيَهُ . فَأَخَذَتِ الحَيَّاتُ تَضْرِبُ أَبا بَكْرٍ

---

(١) جمع حيَّة ، وهى حشرةٌ مؤذية كالعقرب .

فى قَدَمِهِ تُرِيدُ الخُرُوجَ مِنَ الجُحْرِ ، وَأَبو بَكْرٍ يَتَأَلَّمُ وَلايَتَكَلَّمُ ، وَدُمُوعُهُ تَنْحَدِرُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ . وَانْتَشَرَ الأَلَمُ فى جَمِيعِ جِسْمِهِ ، وَازْدَادَ عَلَيْهِ الأَلَمُ ، فَنَزَلَتْ دَمْعَةٌ حَارَّةٌ عَلَى وَجْهِ الرَّسولِ وَهُوَ واضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى رِجْلِ أَبى بَكْرٍ ، فَصَحا النَّبِىُّ مِنْ نَوْمِهِ ، وَنَظَرَ إِلَى أَبى بَكْرٍ ، فَرَآهُ فى أَلَمٍ شَدِيدٍ . وَعَرَفَ ما أَصابَهُ ، فَمَسَحَ رِجْلَ أَبى بَكْرٍ بِيَدِهِ ، فَزالَ أَلَمُهُ ، وَشَفاهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ .

وَبَقِىَ الرَّسولُ وَصاحِبُهُ فى الغارِ ، حَتَّى تَفَرَّقَ الكُفَّارُ ، وَرَجَعُوا خائِبِينَ ، وَكَتَبَ اللَّهُ السَّلامَةَ وَالنَّجاةَ لِلنَّبِىِّ وَصاحِبِهِ الوَفِىِّ الأَمِينِ .

وَاسْتَمَرَّ أَبو بَكْرٍ مَعَ النَّبِىِّ فى المَدِينَةِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، يُسافِرُ مَعَهُ إِنْ سافَرَ ، وَيُقِيمُ إِنْ أَقامَ ،

وَيُحارِبُ الكُفَّارَ مَعَهُ .

وَجَعَلَهُ الرَّسولُ وَزِيرًا وَصاحِبًا لَهُ ، يُشاوِرُهُ فى أُمورِهِ ، وَيَذْكُرُ لَهُ أَسْرارَهُ . وَبَقِىَ صَدِيقًا لَهُ حَتَّى اخْتارَهُ اللّهُ إِلَى جِوارِهِ ، فَبَكاهُ أَبو بَكْرٍ بُكاءً حارًّا .

ماذا فَعَلَ أَبو بَكْرٍ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسولِ ؟

أَخَذَ أَبو بَكْرٍ يُجَهِّزُ رَسولَ اللّهِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَجاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَطَلَبَ مِنْهُ الخُرُوجَ ؛ لِأَنَّ الأَنْصارَ مِنَ المَدِينَةِ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ الخَلِيفَةُ مِنْهُم . فَخَرَجَ أَبو بَكْرٍ مَعَهُ ، وَأَخَذا مَعَهُما: أَبا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ . وَبِحِكْمَةِ أَبى بَكْرٍ زالَ الخِلافُ بَيْنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ ، وَاقْتَرَحَ عَلَى الحاضِرِينَ أَنْ يَخْتارُوا عُمَرَ أَوْ أَبا عُبَيْدَةَ خَلِيفَةً .

فَقالَ عُمَرُ : وَاللهِ لايَكونُ غَيْرُكَ خَلِيفَةً . فَأَنْتَ أَوَّلُ المُسْلِمِينَ مِنَ الأَحْرارِ، وَصاحِبُ الرَّسولِ فِى الْغارِ ، وَالمقَدَّمُ عَلَيْنا فِى الصَّلاةِ . وَبايَعَهُ عُمَرُ، ثُمَّ أَبو عُبَيْدَةَ ، ثُمَّ بايَعَهُ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ بِالمَدِينَةِ .

وَبَعْدَ خِلافَةِ أَبِى بَكْرٍ امْتَنَعَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ عَنْ دَفْعِ الزَّكاةِ ، وَأَرادُوا الِاكْتِفاءَ بِالصَّلاةِ وَالصَّوْمِ ، فَحارَبَهُمْ أَبو بَكْرٍ ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ .

وَانْتَشَرَ الإِسْلامُ فِى البِلادِ العَرَبِيَّةِ وَغَيْرِها .

مَرَضُ أَبِى بَكْرٍ :

وَحِينَما مَرِضَ طَلَبَ كِبارَ الصَّحابَةِ ، وَأَخَذَ رَأْيَهُمْ فِى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، فَمَدَحوهُ جَمِيعًا .

فَأَحْضَرَ "عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ" ، وَأَمْلَى عَلَيْهِ :
"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . هٰذِهِ وَصِيَّةُ أَبِى بَكْرٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِى آخِرِ أَيَّامِهِ بِالدُّنْيَا . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّى جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ "عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ" خَلِيفَةً ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ."

وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رُوحَهُ لِلَّهِ تَعَالَى .

وَكَانَ خَيْرَ مَثَلٍ لِلزُّهْدِ وَالتَّقْوَى ، وَخَيْرَ قُدْوَةٍ لِلْحُكَّامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .